

لرفع معنويات الجماهير العربية و ابرازا للاهداف التي يجاهدون في سبيل تحقيقها ، واحباطا للدعاية المادية التي كانت تحاول اظهار اعمال القساميين بأنها اعمال اجرامية ، وانهم لم يكونوا سوى عصابة للسلب والنهب(١٦) . فعندما اشتد خطر الهجرة الصهيونية وانكشف أمر تسلح الصهيونيين سرا بمساعدة السلطات البريطانية، أصبح الوضع السياسي لا يحتمل مزيدا من التأجيل ، وتقرر البدء بالتحرك من أجل الثورة في الاراضي الجبلية ، وعقد اجتماع في مدينة حيفا مركز الثورة الرئيسي في منزل محمود سالم المخرومي ليلة الثاني عشر من نوفمبر ١٩٣٥ (١٧) . وباع أصحاب القسام حلى زوجاتهم وبعض اثاثهم ، واشتروا بثمنها رصاصا وبنادق ، ثم قصدوا جبال يعبد القريبة من مدينة حيفا : بل القريبة من مرسى الاسطول البريطاني ، غير عابئين بقوة بريطانيا المسلحة . وهذا يدل على أن القوم كانوا يعرفون مصيرهم ، وانه الشهادة في سبيل الله(١٨) . ويؤثر عن رجال القسام ان كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذه قدوة لهم(١٩) . وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة والانتقال الى الحياة الاخرى للتمتع بما اعده الله للمجاهدين والشهداء من نعم(٢٠) .

ويروي الاستاذ دروزة ان عدد الذين خرجوا مع القسام كانوا عشرة ، وهم : يوسف الزيباوي (من قرية الزيب) ، وحنيفة المصري (من القطر المصري) ، ونمر السعدي (من غابة شفا عمرو) ، وأسعد المفلح (من قرية ام الفحم) ، وحسن الباير (من قرية برقين) ، وأحمد عبدالرحمن جابر (من قرية عنتبا) وعرابي البدوي (من قرية قبلان) ، ومحمد يوسف (من قرية سبسطية) ، ومحمد الحلو (من قرية حلحول) ، ومعرف الحاج جابر (من قرية يعبد) ، وانهم دعوا اخوانهم الباقين للانضمام اليهم(٢١) . ومروا وهم في طريقهم الى غابات يعبد بمستعمرة عين حارود ، فتعرض لهم حارس المستعمرة الصهيوني فقتله يوسف الزيباوي(٢٢) . وكان مع كل واحد منهم بندقية وبلغ ضئيل من المال يستعين به على القيام بأوده ، وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يربط بجماعته على مقربة منهم — انهم لم يسألوهم او يطلبوا منهم شيئا في يوم من الايام ، بل كانوا في النهار يأوون الى كهوفهم يصلون ويقرأون القرآن ، وفي الليل يخرجون الى القتال(٢٣) .

وقد ذكرت بعض المراجع العربية أن احد أفراد قوات الامن — وكان معروفا بأنه يعمل جاسوسا للسلطة المنتدبة — علم بالمكان الذي لجأ اليه القسام ورجاله ، فدل السلطة عليه(٢٤) . وسارعت السلطة الى قمع هذه الحركة الخطيرة قبل تفاقمها وأرسلت الى الاحراش قوة مختلطة من البريطانيين والعرب — تساعدها طائرات استكشافية — فطوقت العصابة التي لم يكن امامها بد سوى الدخول في المعركة الحاسمة قبل اوانها، رغم المفاجأة وعدم التكافؤ في القوة(٢٥) . وحين طلب من القسام أن يستسلم أجاب « اتنا لن نستسلم . ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن » والتفت الى زملائه قائلا « موتوا شهداء »(٢٦) . وحين رأى في القوة المحاصرة عددا من الجنود العرب صاح في رجاله « ايكم ومقابلة رصاص الجنود العرب بمثله . . ولكن عليكم بالانجليز ، فاجعلوهم هدف رصاصكم » ، وعلى هذه القاعدة دارت المعركة(٢٧) . وبعد قتال استمر عدة ساعات انتهت المعركة باستشهاد الشيخ القسام وعدد من رفاقه وأسر الباقين ، وأصدرت السلطة بلاغا بالحادث نعتت فيه القسام وصحبه بالاشقياء(٢٨) .

ويروي التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ أن حادث مصرع جاويش من رجال الشرطة كان يقتفي اثر حادث سرقة في تلال الناصرة يوم ٧ نوفمبر هو الذي أدى سريعا الى اكتشاف وجود عصابة مسلحة بقيادة الشيخ عز الدين القسام بالقرب من هذا المكان ، وانه بعد هذا الحادث بعدة ايام وقبيل اكتشاف عصابة الشيخ القسام صرع احد عساكر الشرطة بعد تبادل النيران مع احد رجال العصابة الذي قتل ايضا ، وانه